# المختصر في مسائل الإيمان بالقدر

## في ضوء الكتاب والسنة وعقيدة أهل الأثر

تأليف

عاطف بن محمد عبد المعز الفيومي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

# المختصر

# في مسائل الإيمان بالقدر

## في ضوء الكتاب والسنة وعقيدة أهل الأثر

تأليف

عاطف بن محمد عبد المعز الفيومي

كاتب وداعية إسلامي

الطبعة الأولى

مكتبة العلم والإيمان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، يقول تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ويقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١]، ويقول سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فلما كان موضوع الإيمان بالقضاء والقدر من الأهمية بمكان، لكونه من أصول الإيمان، وأصول عقيدة أهل السنة والجماعة إلىٰ قيام الساعة، وأيضًا لخفاء بعض المسائل المتعلقة به علىٰ كثير من الناس، فقد آثرت جمع هذا المختصر الوجيز، وهذه الوقفات المهمة من كلام أهل العلم والسنة، لتقريب هذا الموضوع إلىٰ عامة المسلمين وخاصتهم

بأدلته من الكتاب والسنة، وذلك في عدة فصولٍ ومسائل مهمة كما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وسميته: **"المختصر في مسائل الإيمان بالقدر، في ضوء الكتاب والسنة وعقيدة أهل الأثر"**، وأسأل الله تعالىٰ بمنه وفضله أن يوفقنا لما يحب ويرضىٰ من النيات والأقوال والأعمال والأحوال الظاهرة والباطنة، والحمد لله رب العالمين.

# الفصل الأول

## تعريف القضاء والقدر لغة وشرعًا

**أولاً: معنى القضاء والقدر في اللغة:**

* **القضاء لغةً**: هو **إحكام الشيء وإتمام الأمر**، قال **ابن فارس**: "القاف والضاد والحرف المعتل: أصلٌ صحيح يدل علىٰ إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذ لجهته، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [فصلت: ١٢]، أي: أحكم خلقهن، والقضاء: الحكم، قال الله سبحانه في ذكر من قال: ﴿**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾ [طه: ٧٢]، أي: اصنع واحكم"[(١)].

* **وأما القدر في اللغة**: فهو بمعنىٰ **التقدير**، وهو الإحاطة بمقادير الأشياء، وهو مصدر قدرت الشيء إذا أحطت بمقداره، قال **ابن فارس**: "القاف والدال والراء: أصلٌ صحيح يدل علىٰ مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيءٍ، يقال: قدره كذا، أي: مبلغه، وكذلك: القدر، قضاء الله تعالىٰ الأشياء علىٰ مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها"[(٢)].

**ثانيًا: معنى القضاء والقدر في الشرع:**

* **أما القضاء والقدَر شرعًا**: فهو **تقدير الله تعالىٰ** لجميع العوالم، والمخلوقات، والأشياء، بصفاتها، وأسبابها، وكيفياتها، ووقوعها بلا زيادة أو نقصان، علىٰ ما سبق في علم الله، وجرىٰ به القلم في اللوح المحفوظ،

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٩٩).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٦٢).

فهي تجري بعلم الله وقضائه فيها، وإرادته ومشيئته لها، وحكمته في تقديرها، فلا يتقدم منها شيء ولا يتأخر أبدًا، بل تقع وفق علم الله تعالىٰ فيها، وتقديره لها كمًا وصفة وكيفًا، وهذا لأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علمًا، فلا يخفىٰ عليه من مخلوقاته شيءٌ، ولا يعزب عن علمه شيءٌ، وإذا أراد شيئًا كان كما أراده تعالىٰ، وهذا من كمال علمه وحكمته وعدله وقدرته وإحاطته سبحانه.

ولهذا سئل الإمام **أحمد بن حنبل** عن القدر، فأجاب بقوله: "القدر قدرة الله علىٰ العباد"، وقال الحافظ **ابن حجر**: "ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله تعالىٰ"، وقال تعالىٰ: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة: ١١٧].

**وخلاصة القول في القدر**: أنه ما سبق به العلم، وجرىٰ به القلم، مما هو كائن إلىٰ الأبد، أو هو علم الله بالكائنات، وحكمه فيها.

❊ ❊ ❊

# الفصل الثاني

## وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

**الإيمان** بالقضاء والقدر **أصلٌ** عظيمٌ وكبير من أصول العقيدة والدين الإسلامي الحنيف، وهو أحد أركان الإيمان الستة العظمىٰ، والتي عليها مدار الدين كله، والدليل علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وجاء أيضًا ذكر القدر وأنه أحد أركان الإيمان التي عليها مدار الدين في حديث **جبريل** -**عليه السلام**- الطويل المشهور، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"، وفي حديث عبادة بن الصامت، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ حتىٰ تقوم الساعة». رواه أبو داود.

وفي الحديث أيضًا عن عبد الله بن عباس، قال: كنت خلف النبي صلىٰ الله عليه وسلم، يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية: «احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلىٰ الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا».

وفي حديث علي، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا يؤمن عبدٌ حتىٰ يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» رواه الترمذي.

وفي الحديث عن عمرو بن مسلم، عن طاوس، أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقولون كل شيءٍ بقدرٍ، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «كل شيءٍ بقدرٍ، حتىٰ العجز والكيس، أو الكيس والعجز». رواه مسلم.

قال **البغوي** في "شرح السنة": "الإيمان بالقدر فرضٌ لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالىٰ خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ**

﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال الله عزوجل: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضىٰ الإيمان والطاعة، ووعد عليهما بالثواب، ولا يرضىٰ الكفر والمعصية، وأوعد عليهما العقاب، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]".

❊ ❊ ❊

# الفصل الثالث

## مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

وحتىٰ يتم **الإيمان** بهذا الأصل من أصول الدين والإيمان لا بد من التحقق بأمورٍ -والتي يسميها أهل العلم **مراتب الإيمان بالقدر**- **وهي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق**[٣]:

**المرتبة الأولى: العلم:**

**وهي**: الإيمان **بعلم الله** المحيط بكل شيءٍ، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض، وأنه تعالىٰ قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وقد دلت نصوص القرآن علىٰ ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾ [الحشر: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ**﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ولابن تيمية جمع يوسف اللبان، وأعلام السنة المنشورة للحكمي، وشرح أصول الإيمان للعلامة محمد العثيمين، وشرح أصول السنة للحميدي لعلي الشبل.

وفي الصحيح قال رجلٌ: "يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: "نعم". قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: "كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له"، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: "ما منكم من نفسٍ إلا وقد علم الله منزلها من الجنة والنار" قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل أفلا نتكل، قال: "لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له"، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ٦]، إلىٰ قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠]، وروىٰ مسلم في صحيحه من حديث عائشة أم المؤمنين، قالت: دعي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، إلىٰ جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبىٰ لهذا، عصفورٌ من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: «أو غير ذلك، يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».

❊ ❊ ❊

**المرتبة الثانية: الكتابة:**

**وهي**: الإيمان **بكتابة** ذلك، وأنه تعالىٰ قد **كتب جميع ما سبق به علمه** أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالىٰ في محاجة موسىٰ وفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ [طه: ٥١ - ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا

﴿بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وروى مسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من نفسٍ منفوسةٍ إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقيةً أو سعيدةً".

* فالله تعالى قد **كتب المقادير** وأحصاها، وهي تقع وفق ذلك، ويدخل في الكتابة: **التقدير الأزلي الأول** الذي كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، قال ابن كثير الدمشقي: قال مجاهد: الزبور الكتب، والذكر أم الكتاب عند الله، واختار ذلك ابن جرير رحمه الله، وكذا قال زيد بن أسلم هو الكتاب الأول، وقال الثوري: هو اللوح المحفوظ. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء، والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك"(٤). اهـ.

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء». رواه مسلم، وعن أبي حفصة، قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:

(٤) انظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٢/ ٥٢٤).

«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة». يا بني إني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «من مات علىٰ غير هذا فليس مني». رواه أبو داود.

وفي حديث عبد الله بن عباس، قال: النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف».

* **وكذلك التقدير عند أخذ الميثاق**، كما قال الله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا**﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيات، وعن أبي الدرداء، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنىٰ، فأخرج ذريةً بيضاء، كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرىٰ، فأخرج ذريةً سوداء كأنهم الحُمم، فقال للذي في يمينه: إلىٰ الجنة، ولا أبالي وقال: للذي في كفه اليسرىٰ: إلىٰ النار ولا أبالي» رواه أحمد.

* **وكذلك التقدير العمري**، وذلك عند تخليق النطفة في الرحم في بطون الأمهات، قال الله تعالىٰ: ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ**﴾ [النجم: ٣٢]، قال ابن كثير: أي هو بصيرٌ بكم، عليمٌ بأحوالكم وأفعالكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم

قسمهم فريقين: فريقا للجنة وفريقا للسعير، وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[٥]. اهـ.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود، قال: حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌ أو سعيدٌ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

* **ويدخل فيها أيضًا التقدير الحولي**، والذي يكون في ليلة القدر، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤].

* **والتقدير اليومي**، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

* * *

(٥) انظر: المصدر السابق (٣/ ٤٠٣).

**المرتبة الثالثة: المشيئة:**

**وهي**: الإيمان **بمشيئة الله** النافذة وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون، ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن؛ فما شاء الله تعالىٰ فهو كائنٌ بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالىٰ لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله عليه، تعالىٰ الله عن ذلك وعز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحدٍ يصرفها كيف يشاء".

* * *

**المرتبة الرابعة: الخلق:**

**وهي**: الإيمان بأن الله تعالىٰ **خالق كل شيءٍ**، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه. قال الله تعالىٰ: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [فاطر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال النبي صلىٰ الله عليه

وسلم: "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، إنك وليها ومولاها".

**والمقصود**: أن تمام الإيمان بالقدر كما ينبغي لا يكون إلا بتحقق العبد بالإيمان بهذه المراتب الأربعة واليقين بها، وهذا هو اعتقاد الصحابة الكرام ومن بعدهم من أئمة الإسلام، ولم يخالف في القدر أحد منهم.

❊ ❊ ❊

# الفصل الرابع

## الفرق المنحرفة والضالة في باب القدر

وقد ظهر بعض أهل البدع والأهواء في أواخر عصر الصحابة، وخالفوا المعتقد الصحيح الذي كانوا عليه في الإيمان بالقدر خاصة، والمخاصمون في القدر نوعان: كما ذكر **ابن القيم** –رحمه الله تعالىٰ–[٦]:

**أحدهما**: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره، كالذين قالوا: **"لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا"**.

**والثاني**: من ينكر قضاءه وقدره السابق، والطائفتان خصماء الله تعالىٰ، **ونزيد تفصيل ذلك، فنقول:**

**الفرقة الأولى: القدرية:**

* **والقدرية**: وهم **القائلون بإنكار ونفي القدر**، وأن الله – تعالىٰ عن قولهم – لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وأن الأمر أنفٌ، وأن العبد مستقلٌ بعمله وإرادته يخلق أفعاله بنفسه، ولا دخل لقدر الله فيه، وهذا ضلالٌ وتخبط ولا ريب، لأنهم بذلك نفوا علم الله السابق للموجودات، وكأنهم الذين ورد فيهم حديث ابن عمر، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم". رواه أحمد وأبو داود.

---

(٦) انظر: شفاء العليل، لابن القيم (١/ ١٢٩، ١٣٠) ط العبيكان.

وكان أول **ظهورهم** في أواخر عصر الصحابة، كما في صحيح الإمام مسلم، عن يحي بن يعمر قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الأمر إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون ألا قدر، وأن الأمر أنف" الحديث، وقال محمد بن شعيب الأوزاعي: أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له: (سوسن)، وكان نصرانياً فأسلم ثم تنصر، وهؤلاء يقولون: إن معبداً الجهني أخذ عن (سوسن) القول بالقدر.

ولا أعظم من رد بهتان هذه الفرقة الضالة في **إثبات القدر** من قوله تعالىٰ: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦]، لأن العبد وما يعمل من خلق الله وفعله، ولا يقع في ملكه إلا ما شاءه تعالىٰ وقدره، وكذلك يدل علىٰ إبطال هذا المذهب قوله تعالىٰ: ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، فجعل مشيئة العبد وإرادته مع كونها من اختياره، إلا أنها داخلة تحت مشيئة الله وإرادته وقدرته تعالىٰ.

❊ ❊ ❊

**الفرقة الثانية: الجبرية:**

* **والجبرية**: وهم القائلون بأن **العبد ليس له اختيار ولا إرادة ولا مشيئة**، فهو مجبرٌ مقهورٌ علىٰ فعله كله، وأن الفاعل الأصلي هو الله وحده، فلا دخل للعبد في أفعاله ولا اختياره البتة.

وعلىٰ هذا فأهل الإيمان والتوحيد قد أجبروا علىٰ إيمانهم وهدايتهم وسائر عبادتهم، وأهل الكفر والفسوق والعصيان كذلك قد أجبروا علىٰ فعلهم وكفرهم ومعاصيهم.

وهذا لا ريب زيغٌ وضلالٌ عن الحق المبين، وفيه اتهام لله تعالىٰ بالظلم للعباد، وتعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذه الفرقة هم أتباع **الجهم بن صفوان**، الذي قتله أمير خراسان سنة ١٢٨هـ، بسبب زيغه وضلال وانحرافه، وتتبعه **للجعد بن درهم** في ضلاله وزيغه، وأما الرد علىٰ بهتان هذه الفرقة الضالة فيكفينا فيه إثبات الله للعباد الحرية والإرادة والمشيئة والاختيار، وإن كانت كما سبق تحت مشيئة الله، إلا أن الله مكن العبد من نفسه فله أن يختار طريق الخير أو طريق الشر، وأن يختار طريق الإيمان أو طريق الكفر، لأنه صاحب إرادة واختيار، وعلىٰ اختياره وإرادته يكون الجزاء بالثواب أو العقاب من الله تعالىٰ، وحسبنا قول الله تعالىٰ: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال بعضهم: "لو أن الله سبحانه أجبر عباده علىٰ الطاعة لبطل الثواب، ولو أجبرهم علىٰ المعصية لبطل العقاب، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في الإرادة".

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقال تعالىٰ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وعلىٰ هذا الاختيار والكسب في دار الدنيا يقوم سوق الحساب والجزاء يوم القيامة كما في قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

وفي روايةٍ عن ابن الديلمي، قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: قد وقع في نفسي شيءٌ من القدر، فحدثني بشيءٍ لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت علىٰ غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، مثل ذلك. رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

❊ ❊ ❊

**فائدة: في سبب ضلال هذه الفرق:**

* **وخلاصة القول**: أن هذه الفرقة كذلك خالفت الحق وضلت، لأنهم **لم يفرقوا** بين القدر الكوني، الذي لا دخل للعباد فيه ولا مشيئة لهم كالرزق والعافية والمرض والمصائب وغيرها، وبين القدر الشرعي الذي جعل الله فيه للعبد مجالًا للحرية والاختيار والإرادة، بين الإيمان والهدىٰ، أو الكفر والعصيان والضلال، ولهذا فإن أهل السنة وسط بين الفرقتين، فهم يثبتون لله تعالىٰ الخلق والفعل والإرادة والمشيئة، كما يثبتون أن الله قد جعل للعبد إرادة واختيارًا ومشيئة، بها يفعل ويختار، وعليها يحاسب، لأنه مكلفٌ، لكنها داخلةٌ في مشيئته وإرادته سبحانه وتعالىٰ وتابعةٌ لها.

* وبهذا ندرك جيدًا أن من أهم **أسباب ضلال كل من القدرية النفاة، والقدرية المجبرة**: أن كل واحدٍ من الفريقين **رأىٰ جزءًا** من الحقيقة وعمي عن جزءٍ منها، فكان مثله مثل الأعور الذي يرىٰ أحد جانبي الشيء، ولا يرىٰ الجانب الآخر.

**فالقدرية النفاة الذين نفوا القدر قالوا**: إن الله لا يريد الكفر والذنوب والمعاصي ولا يحبها ولا يرضاها، فكيف نقول إنه خلق أفعال العباد وفيها الكفر والذنوب والمعاصي!

**والقدرية المجبرة**: آمنوا بأن الله خالق كل شيء، وزعموا أن كل شيءٍ خلقه وأوجده فقد أحبّه ورضيه!

**وأهل السنة والجماعة أبصروا الحقيقة كلها**: فآمنوا بالحق الذي عند كل واحدٍ من الفرقين، ونفوا الباطل الذي تلبس كل واحدٍ منها، فهم

يقولون: "إن الله وإن كان يريد المعاصي قدرًا، فهو لا يحبها، ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها وينهىٰ عنها".

**وهذا قول السلف قاطبة**: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا قال الفقهاء علىٰ أن الحالف لو قال: والله لأفعلن كذا إن شاء الله لم يحنث إذا لم يفعله، وإن كان واجبًا أو مستحبًا. ولو قال: إن أحب الله، حنث إن كان واجبًا أو مستحبًا.

* **والمحققون من أهل السنة يقولون**: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية خلقية، وإرادة دينية شرعية، فالإرادة الشرعية هي: المتضمنة المحبة والرضا، والكونية هي: المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.

**فأما الإرادة الشرعية**: كقوله تعالىٰ: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٦] ﴿**يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٦ – ٢٨] وقوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فهذا النوع من الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، إلا إذا تعلق به النوع الثاني من الإرادة، وهذه الإرادة تدل دلالة واضحة علىٰ أنه لا يحب الذنوب والمعاصي والضلال والكفر، ولا يأمر بها ولا يرضاها، وإن كان

شاءَها خلقًا وإيجادًا، وأنه يحب ما يتعلق بالأمور الدينية ويرضاها ويثبت عليها أصحابها، ويدخلهم الجنة، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين، وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات حدثت أو لم تحدث.

**والإرادة الكونية القدرية**: هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات، التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة مثل قوله تعالىٰ: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقوله: ﴿**وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ**﴾ [هود: ٣٤].

وقوله: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقوله: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**﴾ [الكهف: ٣٩].

وهذه الإرادة إرادةٌ شاملة لا يخرج عنها أحدٌ من الكائنات، فكل الحوادث الكونية داخلة في مراد الله ومشيئته هذه، وهذه يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، و أهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه، ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم اللاعنون، وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث منها.

والسعيد من عباد الله: من أراد الله منه تقديرًا ما أراد الله به تشريعًا، والعبد الشقي: من أراد الله به تقديرًا ما لم يرد به تشريعًا، وأهل السنة والجماعة الذين فقهوا دين الله وحق الفقه، ولم يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، علموا أنَّ أحكام الله في خلقه تجري علىٰ وفق هاتين الإرادتين، فمن نظر إلىٰ الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيرًا، ومن نظر إلىٰ الشرع دون القدر، أو نظر إلىٰ القدر دون الشرع كان أعور، مثل قريش الذين قالوا: ﴿**لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:١٤٨]. قال الله تعالىٰ: ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٨][٧].

* وصدق **ابن القيم في "نونيته"** بقوله[٨]:

وَهُوَ الْعَلِيم بِمَا يكون غَدا وَمَا ... قد كَانَ والمعلوم فِي ذَا الْآن

وَبِكُل شَيْء لم يكن لَو كَانَ كَيـ ... ـفَ يكون مَوْجُودا لِذِي الْأَعْيَان

وَهُوَ الْقَدِير فَكل شَيْء فَهُوَ مَقْـ ... ـدُور لَهُ طَوْعًا بلا عصيان

وَعُمُوم قدرته تدل بِأَنَّهُ ... هُوَ خَالق الأفعال للحيوان

هِيَ خلقه حَقًا وأفعال لَهُم ... حَقًا وَلَا يتناقض الأمران

لَكِن أهل الْجَبْر والتكذيب بَال ... أقدار مَا انفتحت لَهُم عينان

نظرُوا بعيني أَعورٍ إذ فاتهم ... نظر الْبَصِير وَغَارَتْ العينان

---

(٧) انظر: مجموع الفتاوىٰ، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشفاء العليل، لابن القيم، والقضاء والقدر، لعمر الأشقر (ص: ١٠٥- ١٠٨).

(٨) انظر: النونية الكافية (ص: ١/ ١٨٤) ط عالم الفوائد.

فحقيقة الْقدر الَّذِي حَار الورىٰ ... فِي شَأْنه هُوَ قدرَة الرَّحْمَن
وَاسْتحْسن ابْن عقيل ذَا من أَحْمدٍ ... لما حَكَاهُ عَن الرضا الرباني
قَالَ الإمام شفا الْقُلُوب بلَفْظِةٍ ... ذَات اخْتِصَار وَهِي ذَات بَيَان

**فائدة أخرى نفيسة:**

* قال **ابن القيم** –رحمه الله–: وها هنا أمرٌ يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفته تزول إشكالاتٌ كثيرة تعرض لمن لم يحط به علمًا، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر، **وأمره سبحانه نوعان**: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي، فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله.

وأما محبته ورضاه؛ فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه علىٰ ألسنة رسله، فما وجد منه: تعلقت به المحبة والمشيئة جميعًا، فهو محبوبٌ للرب واقعٌ بمشيئته، كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه: تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي: تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها: لم تتعلق به مشيئته ولا محبته.

فلفظ **المشيئة** كوني، ولفظ **المحبة** ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلىٰ: إرادةٍ كونية، فتكون هي: المشيئة، وإرادةٍ دينية، فتكون هي: المحبة،

إذا عرفت هذا فقوله تعالىٰ: ﴿وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وقوله: ﴿لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ وقوله: ﴿وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة علىٰ وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره، فإن المحبة غير المشيئة والأمر غير الخلق.

❊ ❊ ❊

# الفصل الخامس

## مسائل أخرى متفرقة في القدر

**المسألة الأولى: التلازم بين الإيمان بالقدر والتوحيد:**

يروى عن **ابن عباس** رضي الله عنهما، قوله: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه بالقدر توحيده"، **فكيف صار الإيمان بالقدر ينظم التوحيد، والتكذيب بالقدر ينقض التوحيد؟**

**الجواب عن ذلك**[٩]: أن الإيمان بالقدر على ضوء ما تقدم هو اعتراف بالسيادة الكاملة للباري جل وعلا على ملكه، والتكذيب بالقدر وصف للباري جل وعلا بالعجز وخروج أمور كثيرة عن ملكه.

وذلك أن الإيمان بالقدر إيمانٌ بعموم علم الله عز وجل، وأنه لا يغيب عنه مثقال ذرةٍ في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا يغيب عنه الظاهر ولا الخفي، ولا الجزء ولا الكل، كل ذلك في علمه، والتكذيب بذلك وصف له جل وعلا بالجهل وعدم الإحاطة، والجاهل وعديم الإحاطة لا يكون ربًا ولا إلاهًا تعالى ربنا عن ذلك.

* **أما الكتابة**: فإنها تأكيدٌ للعلم وتأكيدٌ للسيادة على الكون في انتظامه على ما هو مكتوب، لا يخرج عنه قيد شعرة، فالكتابة دليلٌ على عظمة هذه السيادة والربوبية.

---

(٩) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار، لأبي الحسين العمراني اليمني الشافعي (١/ ٥٧ - ٥٩).

* **وأما المشيئة**: فشأنها عظيم، فإثباتها إثباتٌ لربوبية الله عز وجل وسيادته السيادة الكاملة والمباشرة علىٰ خلقه، فإرادته جل وعلا ومشيئته نافذة فيهم في الصغير والكبير والحقير والجليل، ومن أنكرها فقد طعن في هذه الربوبية المطلقة علىٰ الخلق، لأن إنكارها معناه أنه يوجد في هذا الوجود شيءٌ لا يريده الله ولا يشاؤه، وقد يشاء أمرًا فلا يقع، فأي طعنٍ في ربوبية الله عز وجل أعظم من هذا الطعن، وأي تنقصٍ للرب جل وعلا أعظم من هذا التنقص؟ وهو كافٍ في نقض التوحيد وانهدام أركانه، لأنه إذا كانت مشيئته غير نافذةٍ فملكه ناقصٌ وعجزه ظاهرٌ، ومن هذه صفته لا يصلح للربوبية ولا أن يكون معبودًا تعالىٰ الله عن ذلك.

ومعلومٌ من حال ملوك البشر أن الملك الذي يصدر شعبه عن رغبته وينصاع لأمره وإرادته فيهم أعظم ملكًا من الملك الذي يأمر ولا يطاع ويريد ولا تنفذ إرادته، بل هذا الأخير ليس له من الملك في الحقيقة إلا اسمه، فالله عز وجل أحق بإثبات الحال الأكمل، وملكه وسيادته وربوبيته أعلىٰ وأظهر من كل ملكٍ وسيادة، والأمور جميعها منوطة به جل وعلا، قال سبحانه: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦].

* **وأما خلق الأعمال**: فهو إثباتٌ بأن الخالق واحدٌ ولا شريك له في ذلك، وأن جميع ما في الوجود من متحركٍ وساكنٍ هو خلقٌ له سبحانه، فإثباته إثباتٌ لعموم الخلق الذي هو من لوازم الربوبية قال عز وجل: ﴿**قَالَ**

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦]، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠]، فعاب على هؤلاء أن عبدوا ما لا خلق له، بل جعل الله من يخلق هو المستحق للعبادة وحده، فقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

فمن أنكر خلق أفعال العباد فقد زعم أنه يوجد خالقٌ آخر مع الله أو من دون الله، وهذا هو الكفر، لهذا ثبت عن كثيرٍ من السلف وصف القدرية المنكرين لخلق أفعال العباد بأنهم مجوس هذه الأمة، حيث زعموا مع الله خالقين وهم العباد الذين يخلقون أفعالهم.

فثبت بهذا كله أن الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع بينه وبين التوحيد تلازم، وأن التوحيد ينتقض بالتكذيب بالقدر.

❊ ❊ ❊

**المسألة الثانية: نسبة الشر إلى الله تعالى وحكمها:**

**هل يصح نسبة الشر إلى الله تعالى وإرادته وتقديره؟ أو هل يقال أن الشر مما أراد الله تعالى؟**

**والجواب أن يقال:** الأصل هو عموم خلق الله تعالى لجميع الأشياء لقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، والله تعالى **خلق الخير** وأمر به وأحبه ورضيه، **وخلق الشر** ونهى عنه وأبغضه وكرهه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وبهذا ندرك أن هناك فرقًا بين خلق الله للأشياء وإرادته لوجودها لحكمته تعالىٰ، وبين محبة الله لها والرضا عنها، وبهذا ندرك أن الشر ليس مرادًا لذاته بل لغيره، ولا يكون إلا في المقدورات والمخلوقات، وليس في فعل الله تعالىٰ، لأن أفعال الله كلها خيرٌ وحكمةٌ، والشر ما خلق إلا لحكمةٍ، فعادل بهذه الحكمة خيرًا، فكان خيرًا بالنسبة لله تعالىٰ، وشرًا بالنسبة إلىٰ المخلوق، ولهذا قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم، كما في صحيح مسلم: "والخير كله في يديك، والشر ليس إليك"، فالشر والخير إنما يقع من المخلوق وليس من الخالق علىٰ هذا الوجه، ودليل ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ *مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾. [الفلق:١-٢].

ويؤكد هذا ما ذكره شيخ الإسلام **ابن تيمية**، بقوله: "الشر **لم يضف إلىٰ الله** في الكتاب والسنة إلا علىٰ أحد **وجوهٍ ثلاثة**:

إما بطريق **العموم**، كقوله: ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾، وإما بطريقة **إضافته إلىٰ السبب** كقوله: ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾، وإما أن **يحذف فاعله** كقول الجن: ﴿**وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾، وقد جمع في الفاتحة "الْأَصْنَافَ الثَّلاثة"، فقال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وهذا عام، وقال: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾، فحذف فاعل الغضب، وقال: ﴿**وَلا الضَّالِّينَ**﴾، فأضاف الضلال إلىٰ المخلوق.."

وقال أيضًا: "فالمخلوق باعتبار الحكمة التي خُلق لأجلها: خيرٌ وحكمة، وإن كان فيه شرٌ من جهةٍ أخرىٰ، فذلك أمرٌ عارض جزئي، ليس

شرًا محضًا، بل الشر الذي يقصد به الخير الأرجح هو خيرٌ من الفاعل الحكيم، وإن كان شرًا لمن قام به".

وكذلك قال تلميذه الإمام **ابن القيم**: **"القدر لا شر فيه** بوجهٍ من الوجوه، فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته، وذلك خيرٌ محض، وكمالٌ من كل وجه، فالشر **ليس إلىٰ الرب تعالىٰ** بوجه من الوجوه، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في **المقضي المقدر**، ويكون **شرًا**بالنسبة إلىٰ محلٍ **وخيرًا**بالنسبة إلىٰ محلٍ آخر، وقد يكون خيرًا بالنسبة إلىٰ المحل القائم به من وجهٍ، كما هو شرٌ له من وجهٍ بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص، وإقامة الحدود، وقتل الكفار، فإنه شرٌ بالنسبة إليهم لا من كل وجهٍ، بل من وجهٍ دون وجهٍ، وخيرٌ بالنسبة إلىٰ غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعضٍ، وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورًا من وجهٍ، فهي خيرات من وجوهٍ عديدة، فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر وذلك في المقضي المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به فإن قطع يد السارق شرٌ مؤلمٌ ضارٌ له، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل وخير وحكمة ومصلحة".

❊ ❊ ❊

**المسألة الثالثة: الفرق بين كون القدر خيرًا وشرًا وكونه حلوًا ومرًا:**

❊ قال **ابن القيم** -رحمه الله-:

**فإن قيل فما الفرق بين كون القدر خيرًا وشرًا، وكونه حلوًا ومرًا؟**

قيل: **الحلاوة والمرارة** تعود إلىٰ مباشرة الأسباب في العاجل، **والخير والشر** يرجع إلىٰ حسن العاقبة وسوءها، فهو حلوٌ ومرٌ في مبدأه وأوله، وخيرٌ وشرٌ في منتهاه وعاقبته، وقد أجرىٰ الله سبحانه سنته وعادته أن حلاوة الأسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل، ومرارتها تعقب الحلاوة، فحلو الدنيا مر الآخرة، ومر الدنيا حلو الآخرة، وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل اللذات تثمر الآلام، والآلام تثمر اللذات، والقضاء والقدر منتظمٌ لذلك انتظامًا لا يخرج عنه شيءٌ البتة، والشر مرجعه إلىٰ الآلام وأسبابها، والخير مرجعه إلىٰ اللذات وأسبابها، والخير المطلوب هو اللذات الدائمة، والشر المرهوب هو الآلام الدائمة، فأسباب هذه الشرور وإن اشتملت علىٰ لذةٍ ما، وأسباب تلك الخيرات وإن اشتملت علىٰ ألم ما، فألم تعقبه اللذة الدائمة أولىٰ بالإيثار والتحمل من لذة يعقبها الألم الدائم، فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلا لذة، وألم ساعة في جنب لذة طويلة كلا ألم[١٠].

❊ ❊ ❊

**المسألة الرابعة: هل الدعاء يرد القضاء والقدر:**

فقد روىٰ الترمذي في جامعه بسند حسن، عن سلمان، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»، وفي رواية: «لا يرد القدر إلا الدعاء»، وروىٰ الحاكم في مستدركه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا

(١٠) انظر: كتاب شفاء العليل، للإمام ابن القيم (٢/ ٧٣٣) ط العبيكان.

يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلىٰ يوم القيامة».

*** فهل يقال إن الدعاء يرد القضاء والقدر علىٰ الحقيقة؟ وكيف يرده وقد قضاه الله تعالىٰ وقدره بحكمه وحكمته ومشيئته؟ وهل هناك تعارض بين ذلك وبين هذه الأحاديث؟**

والجواب أن يقال كما قال أهل العلم والسنة[11]:

* إن هذه **المسألة** مبنيةٌ علىٰ **التفصيل** والبيان؛ وبيان ذلك أن **الكتابة** في القضاء والقدر **نوعان**:

**النوع الأول: القضاء والقدر الأزلي المبرم المطلق:**

وهو القضاء الأول **السابق في علم الله تعالىٰ**، الذي كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فهذا **لا يتغير ولا يتبدل** مطلقًا، قال الله تعالىٰ: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد: ٢٢]؛ قال تعالىٰ: ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**﴾ [ق: ٢٩]، وفي الحديث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال: "رفعت الأقلام، وجفَّت الصحف"، وقال أيضًا صلىٰ الله عليه وسلم: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"، وروىٰ مسلم، عن عبد الله بن مسعود، قال:

---

(١١) انظر: كتاب شفاء العليل، والجواب الكافي، لابن القيم، وتفسير ابن سعدي (ص: ٤٢٠)، ومجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (١٤/ ٤٩٣)، ومجموع فتاوىٰ ابن عثيمين، وابن باز، وفتاوىٰ العقيدة في الشبكة الإسلامية، والإسلام سؤال وجواب.

قالت أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي صلىٰ الله عليه وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله: "سألت الله لآجالٍ مضروبة، وأيامٍ معدودة، وأرزاقٍ مقسومة، لن يعجل شيئًا منها قبل أجله ولا يؤخر، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار وعذاب القبر، كان خيرًا وأفضل".

**النوع الثاني: القضاء والقدر المعلق علىٰ الأسباب:**

وهذا الذي يكون في **الصحف** التي هي في أيدي **الملائكة الكرام**، وهو الذي قد يتغير بمشيئة الله تعالىٰ وإرادته، ويكون فيه **التبديل والتغيير والإثبات والمحو**، كالزيادة في العمر والأجل والنقص منه، لأن الله جعله مبنيًا علىٰ وقوع الأسباب المعلق علىٰ فعلها: مثل الدعاء، وصلة الأرحام، والصدقات، ونحوها مما ورد به الدليل، كما روىٰ البخاري، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه»، وعلىٰ هذا فيقال للملك مثلاً: عمره ستون، فإذا وصل رحمه زِيدَ أربعين عليها، ويكون قد سبق في علم الله أنه سيصل رحمه فيُكْتب له مائة، فيبدل في صحف الملائكة، ولا يبدل ما في علم الله السابق وما كتب في اللوح المحفوظ.

ويدل علىٰ هذا النوع قول الله تعالىٰ: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩].

وهذا النوع هو المراد والمقصود عند أكثر العلماء من الحديث: "لا يرد القضاء إلا الدعاء".

والدعاء من القدر المكتوب، وهو يرد هذا النوع من القضاء بخلاف الأول، فما في أم الكتاب لا يتغير ولا يتبدل مطلقًا، وأما ما كتب في أيدي الملائكة قد يغيره الله بالأسباب المعلق علىٰ فعلها، وبهذا فلا تعارض مطلقًا بين نزول القضاء ورده بالدعاء والأسباب، لأن هذا النوع مبنيٌ في تقديره تعالىٰ علىٰ وقوع الأسباب أصلاً، فالمرض والبلاء من القدر، والدعاء بالشفاء والعافية كذلك من القدر، وقد شرع لنا أن نرد القدر وندفعه بالقدر، وهذا لا إشكال فيه عند أهل الفهم والتحقيق، وفي الحديث: "إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان".

ومن هذا يمكننا **فهم ما جاء في السنة الصحيحة** من كون صلة الأرحام تزيد في الأجل، أو تبسط في الرزق، أو ما جاء في أن الدعاء يرد القضاء، ففي علم الله تعالىٰ السابق أن عبده يصل رحمه وأنه يدعوه، فكتب له في اللوح المحفوظ سعةً في الرزق وزيادةً في الأجل، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: **"والجواب المحقق**: أن الله يكتب للعبد أجلاً في **صحف الملائكة**، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب، ونظير هذا ما في الترمذي وغيره عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمةٍ هو خالقها من ذريته إلىٰ يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسانٍ منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم علىٰ آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأىٰ رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجلٌ من آخر الأمم من ذريتك

يقال له داود، فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته».

وروي أنه كمل لآدم عمره، ولداود عمره، فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة ثم جعله ستين، وهذا معنىٰ ما روي عن عمر أنه قال: "اللهم إن كنت كتبتني شقيًا، فامحني واكتبني سعيدًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت".

والله سبحانه عالمٌ بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له، وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالمًا به، فلا محو فيه ولا إثبات". اهـ.

وقال العلامة **ابن سعدي**: "{يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ} من الأقدار {وَيُثْبِتُ} ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديلٌ ولا تغييرٌ لأن ذلك محالٌ علىٰ الله أن يقع في علمه نقصٌ أو خللٌ، ولهذا قال: {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروعٌ له وشعبٌ.

**فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب**، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابًا ولمحوها أسبابًا، لا تتعدىٰ تلك

الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببًا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببًا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببًا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ". اهـ.

وبهذا نفهم أن الدعاء لا يغير القدر الأزلي السابق، فقد جفت الأقلام وطويت الصحف، إنما يكون سببًا في تغيير القدر المعلق المبني علىٰ مشيئة الله تعالىٰ وإرادته، وكذلك صلة الرحم، وإخراج الصدقات، ونحوها من الأعمال والأسباب المشروعة لذلك.

قال **ابن القيم**: "المقدور **قدر بأسبابٍ**، ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجردًا عن سببه، ولكن قدر بسببه، فمتىٰ أتىٰ العبد بالسبب وقع المقدور، ومتىٰ لم يأت بالسبب انتفي المقدور، وهذا كما قدر: الشبع والري بالأكل والشرب، وقدر: الولد بالوطء، وقدر: حصول الزرع بالبذر. وحينئذ، فالدعاء من أقوىٰ الأسباب، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم". اهـ.

**ولهذا لا ينبغي لعاقلٍ** أن يترك الدعاء والعمل الصالح وسائر الأسباب النافعة اتكالاً علىٰ القدر السابق فإنها من القدر السابق، ولهذا قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: "اعملوا فكل ميسرٌ لما خلق له"، وبهذا تجتمع كل الأدلة في فهم هذه المسألة الجليلة، ويتبين أنه لا تعارض مطلقًا بينها فيما يظهر، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

# الفصل السادس

## الأخطاء والاعتقادات المنافية للإيمان بالقدر

هناك بعض **الأمور والأخطاء والاعتقادات المنتشرة التي تنافي عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر**، والتي يجب تركها، والتوبة منها، وعدم الوقوع فيها، غير ما تقدم بيانه، لأنها تنقص الإيمان وتضعفه، وربما ذهبت به كله، ومن تلك **الأخطاء والاعتقادات الفاسدة** في هذا الباب التي يجب البعد عنها، والحذر منها:

**الخطأ الأول: الاحتجاج بالقدر على فعل الكفر والمعاصي وبطلانه:**

وهذا الاحتجاج لا شك في بطلانه وفساده، لأنه **لا حجة** لأهل الكفر والضلال بالقدر، ولا حجة لأهل الفسوق والمعاصي بالقدر **علىٰ فعلهم** وعصيانهم لربهم وخالقهم، ولا حجة لهؤلاء الجبرية ولا غيرهم بالقدر، لأن الذي يجري عليهم إنما هو **إرادتهم ومشيئتهم**، لأن الله تعالىٰ خلق الجنة والنار، والسعادة والشقاء، والخير والشر، والإيمان والكفر، وجعل لكل منها الأسباب والوسائل الموصلة إليها، ومن ثم ترك حرية الاختيار للعبد، وبحسب هذا الاختيار تجري عليه تلك الأقدار التي كتبها الله في طريقه وقدرها له، ومن ثم تقع وفق ما أراد الله تعالىٰ وعلمه كما هي بلا تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان، وهذا من كمال الله وعلمه وإحاطته بالخلق وأعمالهم، **ويؤكد** هذا قوله تعالىٰ عن الإنسان: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: ١٠]، أي بينا له الطريقين، طريق الخير والإيمان،

وطريق الشر والعصيان، وهو محاسب على اختياره وإرادته، وقال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فالخير والشر ضدان يتصارعان، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، وقال تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال سبحانه أيضًا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فنسب العمل الصالح والسيئ لنفس الإنسان المكلف العاقل الحر، للدلالة على كونه حرًا مريدًا مختارًا لأعماله، ومثله قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقوله تعالى أيضًا: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، ففي هذه الآية أمران:

**الأول**: اختيارهم للزيغ والضلال وتفضيله على الحق.

**والثاني**: زيادة الضلال وتزيين الباطل لهم. وكلاهما من قدر الله فيهم، فإنه تعالى لما سبق في علمه أنهم سيختارون الزيغ والضلال بإرادتهم حتى يكون لهم إلفًا ومنهاجًا، فعاقبهم تعالى بزيادة الإضلال لهم وإمالة قلوبهم أكثر عن معرفة الهدى والحق، وهذا من أشد العقوبات.

قال **ابن كثير** في تفسير هذه الآية: قوله: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: "وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضًا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه،.. ومن احتج بالقدر على ترك مأمورٍ، أو فعل محظورٍ، أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد والوعيد، فهو أعظم ضلالًا وافتراءً على الله، ومخالفة لدين الله من أولئك القدرية فإن أولئك مشبهون بالمجوس.. إلخ".

وقال في **موضع** آخر: "وأما المؤمن فهو بالعكس في ذلك، إذا آذاه الناس نظر إلى القدر، فصبر واحتسب، وإذا أساء هو تاب واستغفر، كما قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ فالمؤمن يصبر على المصائب، ويستغفر من الذنوب والمعايب، والمنافق بالعكس لا يستغفر من ذنبه بل يحتج بالقدر، ولا يصبر على ما أصابه، لهذا يكون شقيًا في الدنيا والآخرة، والمؤمن سعيدًا في الدنيا والآخرة، والله أعلم".

وقال **ابن القيم**: "الأنبياء والرسل وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها، والكفار وغيرهم واقفون مع القدر الكوني! وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها، وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني، فحيث ما مال القدر مالوا معه. فدينهم دين القدر، ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر، فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره، وخصماء الله

يعصون أمره ويحتجون بقدره! ويقولون نحن واقفون مع مراد الله! نعم مع مراده الكوني لا الديني، ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني، ولا يكون ذلكم عذراً لكم عنده، إذ لو عذر بذلك لم يذم أحداً من خلقه، ولم يعاقبه، ولم يكن في خلقه عاصٍ ولا كافر، ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه وجميع رسله، وبالله التوفيق".

**الخطأ الثاني: ترك العمل الصالح والأسباب اتكالاً على القدر:**

**ومن الأخطاء التي ضل فيها بعض الخلق في باب القدر أيضًا وهو كسابقه من نفس الباب وتكملة له:** ترك بعض الناس العمل الصالح والاجتهاد وسائر الأسباب **اتكالاً منهم علىٰ القدر**، وترك الدعاء والسعي، ومنهم من يترك الدعوة إلىٰ الله اتكالاً علىٰ أن الله ناصرٌ دينه وعباده، فلا يحمل هم الدين والبلاغ في قلبه، ولا يتحرك لدعوة الناس من حوله، ولا لتبليغ الدين والسنن، وقالوا: إذا كان الله عالمًا بكل شيء نفعله، وعالمًا بمصيرنا إلىٰ الجنة أو النار، وكان هو الخالق لأفعالنا، فلماذا نعمل وننصب؟ ولماذا لا نترك الأقدار تجري في أعنتها، وسيأتينا ما قدر لنا شئنا أم أبينا، وسينصر الله الإسلام والدين شئنا أم أبينا! حتىٰ قال بعضهم:

جرىٰ قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنونٌ منك أن تسعىٰ لرزق ... ويرزق في غيابته الجنين

وهذا الفريق يؤمن بالقدر، وأن الله عالمٌ بكل شيء، وخالقٌ لكل شيء، ومريدٌ لجميع الكائنات، ولكنهم زعموا أن كل ما خلقه الله وشاءه فقد رضيه وأحبه، وزعموا أنه لا حاجة بالعباد إلىٰ العمل والأخذ بالأسباب،

فما قُدِّر لهم سيأتيهم، وزعموا أن العباد مجبورون علىٰ أفعالهم، فالإنسان عندهم ليس له قدرة تؤثر في الفعل، بل هو مع القدر كالريشة في مهب الريح، وكالساقط من قمة جبل شامخ إلىٰ واد بعيد غوره، سحيق قعره، لا يملك وهو يتردىٰ فيه من أمره شيئًا.

لقد ترك هؤلاء العمل احتجاجًا بالقدر قبل وقوعه، واحتجوا بالقدر علىٰ ما يقع منهم من أعمال مخالفة للشرع، ووصل بهم الحال إلىٰ عدم التفريق بين الكفر والإيمان، وأهل الهدىٰ والضلال، لأن جميع ذلك خلق الله، فلم التفريق؟

وبهذه **العقيدة المنحرفة** ضلت عقولٌ كثيرة، وانحرفت بمسارها عن جادة الحق والصواب، واضطربت عندها موازين العدل والحق، وعطلت هذه العقيدة المنحرفة طاقاتٍ هائلة في العالم الإسلامي، أقعدتها عن العمل، بل صيرت أعمالها لمصلحة أعداء الإسلام في بعض الأحيان.

لقد كان من **آثار هذه العقيدة**: الزعم بأن الله –وحاشاه سبحانه– أحب الكفر والشرك والقتل والزنا والسرقة وعقوق الوالدين وغير ذلك من الذنوب والمعاصي، لأنهم يزعمون أن كل شيءٍ خلقه الله وأوجده فهو يحبه ويرضاه!

ومن **آثارها**: أن أصحابها تركوا الأعمال الصالحة الخيرة التي توصلهم إلىٰ الجنة وتنجيهم من النار، وارتكبوا كثيراً من الموبقات بدعوىٰ أن القدر آتٍ آت، وكل ما قدر للعبد سيصيبه، فلماذا العمل والتعب والنصب!

لقد ترك هؤلاء الأخذ بالأسباب، فتركوا الصلاة والصيام، كما تركوا الدعاء والاستعانة بالله والتوكل عليه، لأنه لا فائدة منها، فالذي يريده الله ماضٍ قادم، لا ينفع معه دعاءٌ ولا عملٌ، ورضي كثيرٌ من هؤلاء بظلم الظالمين، وإفساد المفسدين، لأن ما يفعلوه قدر الله وأراده، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يهتموا بإقامة الحدود والقصاص، لأن ما وقع من المفاسد والجرائم مقدر لا بد منه.. إلخ[١٢].

وهذا كله **لا يجوز مطلقًا**، أولاً لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: "اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له"، واستعاذ أيضًا ربه من العجز والكسل، وقال: "احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز".

وثانيًا لأن ما في اللوح المحفوظ لا يعلمه إلا الله، والله قد جعل الأمور مبنيةً علىٰ مسبباتها، فلا يأتي رزقٌ بلا سعي أو عمل، ولا يرفع جهلٌ بلا تعلم أو تفقه، ولا يشفىٰ مريضٌ بلا سبب أو دواء، ولا يكون النجاح بدون الجد والاجتهاد، والولد إلا بالنكاح، وهناك أقدارٌ أخرىٰ معلقة علىٰ الدعاء، أو صلة الأرحام، أو فعل الصدقات، فلا بد من ربط الأسباب بمسبباتها، والله تعالىٰ هو خالق الأسباب والمسببات ومقدرها بعلمه وحكمته، وترك الأسباب لا شك أنه نقصٌ في الفهم والعقل، وقد قال تعالىٰ: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾ [الملك: ١٥]، ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾ [الجمعة: ١٠].

---

(١٢) انظر: القضاء والقدر، لعمر الأشقر (ص: ٧٢، وما بعدها).

ولهذا فلا ينبغي لعاقلٍ فطنٍ أن يترك الدعاء والعمل الصالح وسائر الأسباب النافعة اتكالاً على القدر السابق، فإنها من القدر السابق، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له".

**الخطأ الثالث: الخوض في القدر والغيب والنهي عنه:**

وقد **كره السلف** الصالح -رحمهم الله تعالى- **التعمق** في القدر والغيب، وحذروا من ذلك أشد التحذير، لأن هذا الباب كثر الكلام فيه وتشعب بين الفرق والمذاهب حتى خالفت الصراط المستقيم، وقد ذكر أهل العلم أن **الخوض في مسائل القدر على قسمين:**

* **الأول: الخوض الجائز أو المطلوب**؛ وهو تعلم القدر ومعناه ومعرفة أركانه وأصوله، وما كان من هذا الباب بغرض زيادة العلم والإيمان واليقين في النفس والقلب، والوقوف على مراد الله ورسوله فيه، فهذا مشروع وضروري لفهم المعتقد الصحيح الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ومن بعدهم، وهو داخل في قوله: "وتؤمن بالقدر: خيره، وشره".

* **الثاني: الخوض المحرم أو المنهي عنه**، وهو طلب معرفة ما وراء ذلك كالسؤال مثلاً: لماذا أغنى الله فلانًا وأفقر فلانًا! أو لماذا رزق فلان الأولاد ولم يرزق الآخر! أو لماذا أضل فلانًا من الناس وهدى الآخر! أو كيف يقع القدر! وما الحكمة من خلق كذا وكذا! ولماذا لا يكون كذا! إلى غير ذلك من المسائل العقلية والظنية التي بسببها ضل كثيرٌ من الناس وأصحاب الفرق، لأنهم خاضوا فيما لا تدركه عقولهم وفهومهم، لأن هذا

الجانب في القدر سرٌ عظيم، لا يعلمه الله تعالىٰ، ولهذا نهينا عن الخوض فيه، وعن البحث عما غاب عنا من الأسرار والأقدار وراء الأشياء إذا لم تظهر حكمتها، لكون مفاسده أكثر من منافعه، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة، قال: خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ونحن نتنازع في القدر فغضب حتىٰ احمر وجهه فقال: "أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟! إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم أن لا تتنازعوا فيه". رواه الترمذي.

وجاء في حديث ثوبان، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، أنه قال: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا". رواه الطبراني، وذهب إلىٰ صحته العلامة الألباني.

وجاء عن عبد الله بن عباس، أنه قال: "باب شرك فتح علىٰ أهل الصلاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم فيجري شركهم علىٰ أيديكم"، وقال مجاهد: لا يكون مجوسية حتىٰ يكون قدرية، ثم تزندقوا، ثم تمجسوا، وقال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن، وقال ابن سيرين: إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدري من هم.

وقال ميمون: لا تسبوا أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولا تعلموا النجوم، ولا تجادلوا أهل القدر، وقال الحسن بن محمد بن علي: لا تجالسوا أهل القدر، وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت هذه الآية: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ**

﴿بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٧-٤٩] في أهل القدر. وفي رواية عنه قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: لا يصلىٰ خلف القدرية، والمعتزلة، والجهمية، وسألت أبي مرة أخرىٰ عن الصلاة خلف القدري، فقال: إن كان يخاصم فيه أو يدعو إليه فلا يصلىٰ خلفه.

وقال مالك عن عمه سهل، قال: كنت مع عمر بن عبد العزيز، فقال لي: ما ترىٰ في هؤلاء القدرية؟ قال: قلت: أرىٰ أن تستتيبهم فإن قبلوا وإلا عرضتهم علىٰ السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي. قلت: أسألك فما رأيك أنت؟ قال: هو رأيي. القائل لمالك فما رأيك؟ هو إسحاق بن عيسىٰ. وكان نافع مولىٰ ابن عمر يقول لأمير كان علىٰ المدينة: أصلحك الله اضرب أعناقهم يعني القدرية.

ولهذا قال الإمام **ابن تيمية**: "الخوض في ذلك بغير علمٍ تام، أوجب ضلال عامة الأمم، ولهذا نهىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن التنازع فيه".

وقال العلامة **الطحاوي**: "وأصل القدر سرّ الله تعالىٰ في خلقه، لم يطلع علىٰ ذلك ملكٌ مقرب، ولا نبيٌ مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله طوىٰ علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالىٰ: ﴿**لا يُسْأَلُ عَما يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [ الأنبياء: ٢٣ ]"[١٣]. اهـ.

وقد أطلنا النفس هنا في الكلام علىٰ الإيمان بالقدر ومراتبه ومسائله، لأنه من أعظم أصول التوحيد والدين، ولأن كثيرًا من الفرق والعقول قد

(١٣) انظر: العقيدة الطحاوية بتعليقات العلامة ابن باز رحمه الله.

ضلت فيه وحارت، لكن الذين عرفوا هذا الأصل علىٰ حقيقته وصفائه، لا تجد عندهم أبدًا حيرة ولا اضطرابًا، لأنهم فهموا ما ينبغي أن يفهم، وتركوا ما ينبغي أن يترك، ولذلك فهم أسعد الناس في إيمانهم، وأرضاهم بما جرىٰ لهم من الأقدار والأحوال، وهناك مسائل أخرىٰ تراجع في مظانها.

**الخطأ الرابع: الاعتقاد في النجوم والأنواء:**

* **فأما النوء**: فهو من الاعتقاد في النجوم والأنواء التي هي **منازل القمر** المعروفة، فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرًا في هبوب الرياح وسكونها، وفي مجيء المطر وتأخره، وفي رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك! فإذا وقع شيءٌ من الحوادث نسبوه إلىٰ النجوم، فقالوا: هذا بنوء عطارد! أو المشتري! أو المريخ! أو كذا أو كذا!

ورد الله تعالىٰ ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال الله تعالىٰ: ﴿**اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَىٰ الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ * فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الرُّوم: ٤٨-٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الْوَاقِعَةِ: ٧٥-٨٢] . وفي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلىٰ لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم،

صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "أتدرون ماذا قال ربكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي، وكافرٌ بي، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب"، وعليه ترجم البخاري رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

**الخطأ الخامس: الاعتقاد بانتقال العدوى بنفسها:**

* **ومن الأخطاء والمخالفات أيضًا**: اعتقاد أن **العدوى** بالمرض تنتقل من جسدٍ إلى جسد **بطبيعتها ونفسها**، يعني أن المرض يخلق نفسه بطبيعته دون خلق الله له! فنفى الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابن: ١١].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾ [الجمعة: ٨]، فالمرض مخلوقٌ وانتقاله من المريض إلى الصحيح هو حقيقة، لكنه لا يكون إلا بإذن الله تعالى وحده، لا كما يعتقد الجهال والملحدون، والشرع قد نهى بعدم ورود الصحيح على المريض .

وروى البخاري عن أبي هريرة، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا عدوى" فقام أعرابيٌ فقال: أرأيت الإبل تكون في الرمال

أمثال الظباء، فيأتيها البعير الأجرب فتجرب، قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: "فمن أعدىٰ الأول؟".

وروىٰ أيضًا، عن أنس بن مالك، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال: "لا عدوىٰ، ولا طيرة، ويعجبني الفأل". قالوا: وما الفأل؟ قال: "كلمةٌ طيبةٌ". وفي رواية: "لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر".

والأحاديث في نفي العدوىٰ كثيرةٌ في الصحيحين والسنن وغيرها، ولا يعارض ذلك حديث: "فر من المجذوم فرارك من الأسد"، وحديث: "لا يورد ممرضٌ علىٰ مصحٍ "، وكلاهما في الصحيح متصلاً بحديث: "لا عدوىٰ، ولا طيرة..".

**الخطأ السادس: الطيرة والتطير بالكلمات والمخلوقات والأوقات:**

* **والطيرة والتطير**: هي التشاؤم وترك الإنسان **حاجته**، واعتقاده عدم نجاحها، **تشاؤمًا** منه بسماع بعض **الكلمات** القبيحة: كيا هالك، أو يا ممحوق ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض **الطيور** كالبومة والغراب وما شاكلها إذا صاحت، قالوا إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم **بملاقاة الأعور** أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع، معتقدًا عدم نجاحها، وكثيرٌ من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتىٰ يبيع من غيره تشاؤمًا به وكراهة له! وكثيرٌ منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرًا قط، وكثيرٌ من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه، كما إذا عثر أو شيك، يرىٰ أنه لا يجد خيرًا.

ومن ذلك التشاؤم ببعض **الأيام** أو ببعض **الساعات** كالحادي والعشرين من الشهر، وآخر أربعاء فيه، ونحو ذلك، فلا يسافر فيها كثيرٌ من الناس ولا يعقد فيها نكاحًا ولا يعمل فيها عملاً، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحسٌ، وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات، فلا يستقبلها في سفرٍ ولا أمرٍ حتىٰ تنقضي تلك الساعة أو الساعات.

ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض **الطيور** علىٰ البيوت، يرون أنها معلمةٌ بشرٍ، وكذا صوت الثعلب عندهم، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم، وإن تياسرت تركوها، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذي أمر الله تعالىٰ باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان.

وهذا وما شاكله كثيرٌ منه كان في الجاهلية قبل النبوة، وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣١]، قال مجاهد في قوله تعالىٰ: {فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه} قالوا: العافية والرخاء نحن أحق بها {وإن تصبهم سيئة} قال: بلاء وعقوبة {يطيروا بموسىٰ} قال: يتشاءموا به. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس: {ألا إنما طائرهم عند الله} قال: الأمر من قبل الله، وقال تعالىٰ: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ**

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس١٦-١٨].

وفي الحديث: "الطيرة شركٌ"، وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «من ردته الطيرة من حاجة، فقد أشرك»، وفي الحديث: "لا عدوىٰ، ولا طيرة، والشؤم في **ثلاث**: في المرأة، والدار، والدابة"، **والشؤم**: ضد اليمن وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد، كالمرأة العاقر التي لا تلد، أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك، وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب، أو السيئة الجيران، وما في معنىٰ ذلك، وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها، أو الكثيرة العيوب، الشينة الطبع وما في معنىٰ ذلك، فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية، فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا، لأنهم يعتقدون أنها نحس علىٰ صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها، فيعتقدون أنه إن كان غنيًا افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسببٍ محسوس، بل عندهم أن لها نجمًا لا يوافق نجمه، بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحي الشيطان يوحيه إلىٰ أوليائه من المشركين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١] وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

* **وخير الطيرة الفأل الحسن**: ففي البخاري من حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: "لا طيرة، وخيرها الفأل" قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الصالحة. يسمعها أحدكم". وعن أنس، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قال "لا عدوىٰ ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة"، ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصودًا، بل أن يتفق للإنسان؛ ذلك من غير أن يكون له علىٰ بال.

ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة: مأخذ **الفأل من المصحف!** فإنه من اتخاذ آيات الله هزوًا ولعبًا ولهوًا، ساء ما يعملون، وما أدري كيف حال من فتح علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [المائدة: ٧٨] وقوله: ﴿**وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ**﴾ [النساء: ٩٣] وأمثال هذه الآيات، ويروىٰ أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية، وأنه تفاءل يومًا: ففتح المصحف، فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل: ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ [إبراهيم: ١٥] الآيات. فيقال إنه أحرق المصحف غضبًا من ذلك، وقال أبياتًا لا نسود بها الأوراق، والمقصود أن هذه بدعةٌ قبيحةٌ، والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة، كالاستقسام بالأزلام.

* **وأما كفارة الطيرة**: فقد روىٰ في كفارتها أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقفه: "من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك" قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: "أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك".

* **وأما الغول فهي**: واحد الغيلان، وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم، وكان أهل الجاهلية يعتقدون فيهم من **الضر والنفع**، وكانوا يخافونهم خوفًا شديدًا، ويستعيذون ببعضهم من بعض، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا**﴾ [الجن: ٦] زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشرًا وطغيانًا، وزادتهم الجن إخافة وخبلاً وكفرانًا، وكان أحدهم إذا نزل واديًا قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه، فيأتي الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه في نفسه، فيقول: يا صاحب الوادي جارك، أو نحو ذلك، فيسمع مناديًا ينادي ذلك المعتدي أن اتركه أو دعه أو ما أشبه ذلك.

فأبطل الله تعالىٰ ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم ذلك، ونفىٰ أن يضروا أحدًا إلا بإذن الله عز وجل، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين: الاستعاذة بجبار السماوات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلاهه، وبأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العليا، وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبارٌ ولا متكبر، فقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**﴾ [المؤمنون:٩٧- ٩٨]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [فصلت: ٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق: ١] إلىٰ آخر السورة، ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ [الناس: ١] إلىٰ آخر السورة.

وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في هاتين السورتين: "ما سأل سائلٌ بمثلها ولا استعاذ مستعيذٌ بمثلها"، وقال صلىٰ الله عليه وسلم أيضًا:

"من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيءٌ حتىٰ يرحل من منزله ذلك"، وهو في الصحيح، وفي الحديث الصحيح: "لا عدوىٰ، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر".

وفي الحديث أيضًا: "إن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله ضراطٌ"، وأحاديث الاستعاذة والأذكار في طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة مسبورة في مواضعها من كتب السنة.

* **وأما الهامة والصفر**: فقد مر معنا الإشارة إليهما في الحديث، وروىٰ أبو داود، عن بقية قال: قلت لمحمد -يعني ابن راشد- قوله: "هام"، قال: كانت الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. قلت: فقوله: "صفر"، قال: سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصفر. فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: "لا صفر"، قال محمد: وقد سمعنا من يقول هو وجع يأخذ في البطن، فكانوا يقولون هو يعدي، فقال: "لا صفر"، وعن عطاء: أن الهامة دابة، وسئل مالك عن قوله: "لا صفر"، قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: "لا صفر"، وكل هذه المعاني لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث(١٤).

قال العلامة **حافظ بن أحمد حكمي**(١٥):

والسَّادِسُ الإيمَانُ بالأقْدَارِ فَأَيْقِنَنْ بهَا ولا تُمَارِ

---

(١٤) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ حكمي (٣/ ٩٨٠- ٩٩٧) ط ابن القيم.
(١٥) انظر: منظومة سلم الوصول في التوحيد، لحافظ حكمي (ص: ٥١) ط دار عمار.

فَكُـلُّ شَـيْءٍ بقَضَـاءٍ وَقَـدَرْ والكُـلُّ في أُمِّ الكِتَـاب مُسْـتَطَرْ
لا نَـوْءَ لا عَـدْوَىٰ ولا طِيَـرَ وَلا عَمَّـا قَضَـىٰ اللهُ تَعَـالىٰ حِـوَلاَ
لاَ غَـوْلَ لاَ هَامَـةَ لاَ ولا صَـفَرْ كَمَـا بـذَا أَخْبَـرَ سَـيِّدُ الْبَشَـرْ

**الخطأ السابع: انتشار ألفاظ وعبارات على ألسنة الناس تتنافى مع الإيمان بالقدر:**

* كقولهم (بالعامية): (آدي الله وآدي حكمته)، وفيه تلميح إلىٰ التسخط وعدم الرضا بالقدر، والصحيح أن يقول: قدر الله وما شاء فعل.

* ومن ذلك أيضًا قول بعضهم: (قدرٌ أحمق الخطىٰ)، وفي هذا وصف لقدر الله بالحمق، وهذا باب من أبواب الكفر، نعوذ بالله من الخذلان.

* ومن ذلك قولهم: (لعبة القدر)، أو (لعب به القدر).

* ومن ذلك قول بعضهم تسخطًا علىٰ قدر الله: (ليه كده يا رب؟)، (أنا عملت إيه في دنيتي؟)، أو (ما فيش غيري؟).

* ومن ذلك قولهم: (ينساك الموت)، أو (هو ربنا نسيك ليه)، وهذا لا يليق أن يقال عن الله؛ فالله تعالىٰ لا ينسىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم: ٦٤].

* ومن ذلك قولهم: (قليل الحظ يلاقي -يجد- العظم في الكرشة)، وفيها اعتراض علىٰ تقدير الله.

* ومن ذلك قولهم: (يدي الحلق للي ما لهاش ودان)، وفي هذه العبارة الاستهانة والاحتقار لتقدير الله واختياره.

* ومن ذلك قولهم: (هو فيه إيه عِدل؟)، وهذا تسخط علىٰ قدر الله.

* قول بعضهم عند موت قريب له: (سيبنا لمين)، (بدري من عمرك)، (مات قبل يومه)، وهذا كله يتنافى مع الاعتقاد بما قدره الله من الآجال.

* ومن ذلك قولهم: (اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه).

أفاد الشيخ ابن باز خطأ هذه الكلمة؛ لأنه لا شيء في أن يسأل العبد ربه أن يدفع عنه البلاء؛ فقد استعاذ النبي صلىٰ الله عليه وسلم من سوء القضاء، ثم إن سؤال التخفيف في القضاء دون إزالته هو تضييق لرحمة الله، (من كتاب تنبيهات شرعية)[١٦].

❊ ❊ ❊

(١٦) انظر: ماذا يعني انتمائي لأهل السنة، لعادل العزازي (ص: ١٩٠، ١٩١).

# الفصل السابع

## فوائد وثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

وفي ختام حديثنا حول مسألة الإيمان بالقدر ومراتبه، نشير إلىٰ بعض وأهم الثمرات العظيمة، **والآثار والفوائد المهمة النافعة** للإيمان بالقضاء والقدر، والتسليم له، والتي يكون بها صلاح الفرد والمجتمع والأمة إن شاء الله تعالىٰ.

ومن تلك الفوائد المهمة **ما يلي**[١٧]:

**الفائدة الأولى: صحة الإيمان وكماله ورسوخه:**

**فإن من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر وفوائده:** صحة الإيمان وكماله ورسوخه؛ لأن الإيمان بالقدر ركنٌ عظيم من أركان الإيمان الستة التي لا يتحقق إلا بها؛ كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة، كما قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ [التغابن:١١]، وجاء في حديث جبريل

---

(١٧) انظر: كتب الصحاح والسنن، وشفاء العليل، لابن القيم، ومعارج القبول وشرحه، لحافظ الحكمي، وعقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين، والإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد، لصالح الفوزان، والقضاء والقدر، لعمر الأشقر، والعقيدة الطحاوية وشروحها، ومجلة البحوث الإسلامية للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عدد (٤٤) القضاء والقدر لابن باز، وعدد (٧٦) مبحث القضاء والقدر، ومقال: العادات المحرمة وطرق علاجها، د. لطف الله بن العظيم خوجة، مجلة البيان (١٧٨/ ١٦)، وغيرها.

المشهور: «قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر: خيره، وشره» رواه مسلم.

**الفائدة الثانية: الخلاص من الشرك وشره:**

فإن الإيمان بالقدر طريقٌ عظيمٌ للخلاص من الشرك بالله تعالىٰ، والنجاة من شره العظيم، فالمؤمنون الموحدون الذين آمنوا بالقدر، وأيقنوا بأن هذا الكون وما فيه صادرٌ عن الإله الواحد الأحد الخالق لكل شيءٍ، المعبود دون سواه سبحانه وتعالىٰ، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قد سلموا بذلك من الشرك الذي وقع فيه كل من كذب بالقدر أو نسب الخلق لغيره تبارك وتعالىٰ، فلا يتوكلون إلا علىٰ الله، ولا يذبحون ولا ينذرون إلا لله، ولا يستعينون إلا بالله، ولا يطلبون المدد والغوث إلا من الله، ولا يطلبون الشفاء ودفع الكرب والبلاء إلا من الله، ولا يرجون الثواب والجنة إلا من الله، فالإيمان بالقدر هو طريق التوحيد الخالص، والنجاة من الشرك وشره، قال تعالىٰ: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠].

**الفائدة الثالثة: حصول الطمأنينة والراحة النفسية للإنسان:**

**ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أيضًا وفوائده:** راحة النفس والبال، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب؛ وعدم القلق في هذه الحياة عندما

يتعرض الإنسان لمشاق هذه الحياة؛ لأن العبد المؤمن يعلم أن ما يصيبه هو أمر مقدرٌ لا بد منه ولا رادَّ له، ويستشعر قول الرسول صلىٰ الله عليه وسلم: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"؛ وقوله أيضًا: «عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن»، فإنه عند ذلك تسكن نفسه ويطمئن باله؛ بخلاف من لا يؤمن بالقضاء والقدر؛ فإنه تأخذه الهموم والأحزان، ويزعجه القلق، حتىٰ يتبرم بالحياة، ويحاول الخلاص منها، ولو بالانتحار؛ كما هو مشاهد من كثرة الذين ينتحرون فرارًا من واقعهم وتشاؤمًا من مستقبلهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر؛ فكان تصرفهم ذلك نتيجة حتمية لسوء اعتقادهم.

ولهذا فإن الإيمان بالقدر يطرد القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالىٰ الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائنٌ لا محالة، فيصبر علىٰ ذلك ويحتسب الأجر، وإلىٰ هذا يشير الله تعالىٰ بقوله: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، فأخبر سبحانه أنه قدر ما يجري من المصائب وفي الأنفس؛ فهو مقدر ومكتوب، لا بد من وقوعه، مهما حاولنا دفعه، ثم بيَّن أن الحكمة من إخباره لنا بذلك لأجل أن نطمئن؛ فلا نجزع ونأسف عند

المصائب، ولا نفرح عند حصول النعم فرحًا ينسينا العواقب، بل الواجب علينا الصبر عند المصائب، وعدم اليأس من روح الله، والشكر عند الرخاء، وعدم الأمن من مكر الله، ونكون مرتبطين بالله في الحالتين، قال عكرمة -رحمه الله-: "ليس أحدٌ إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزن صبرًا".

وليس معنىٰ هذا أن المؤمن لا يتخذ الأسباب الواقية من الشر الجالبة للخير، وإنما يتكل علىٰ القضاء والقدر؛ كما يظن بعض الجهال، هذا من أكبر الغلط والجهل؛ فإن الله أمرنا باتخاذ الأسباب، ونهانا عن التكاسل والإهمال، ولكن إذا اتخذنا السبب، وحصل لنا عكس المطلوب؛ فعلينا أن لا نجزع؛ لأن هذا هو القضاء المقدر، ولو قدر غيره؛ لكان، ولهذا يقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم:"احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم.

وعلىٰ العبد المؤمن مع هذا أن يحاسب نفسه ويصحح أخطاءه؛ ويبادر بالتوبة الصادقة من جميع الذنوب والآثام، فإنه لا يصيبه شيءٌ إلا بسبب ذنوبه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

**الفائدة الرابعة: القضاء على أمراض النفوس والمجتمع:**

فإن الإيمان بالقدر سببٌ عظيمٌ في القضاء علىٰ كثير من الأمراض السلوكية السيئة التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، كالغل

والحقد والحسد، والغيبة والنميمة والطمع والسرقة، وغيرها، وذلك أن الأصل في المؤمن أنه لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يتصف بهذه الصفة السيئة؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء ومنع من شاء ابتلاء وامتحانًا منه سبحانه لخلقه، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على المقدور له ولغيره من الناس، وهذا ينقص الإيمان بالقدر ويضعفه ولا شك، والمؤمن منزه عن ذلك الاعتقاد وظن السوء بربه وبعباده، لأنه يؤمن بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿**اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الشورى: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [الشورى: ٢٧].

**الفائدة الخامسة: الصبر والثبات على الشدائد والمصائب والأزمات:**

**ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر العظيمة أيضًا وفوائده:** الصبر والثبات عند مواجهة الشدائد والمصائب والأزمات، واستقبال مشاق الحياة بقلبٍ ثابت، ويقينٍ صادق، لا تزلزله الأحداث ولا تهزه الأعاصير؛ لأنه يعلم أن هذه الحياة الدنيا دار ابتلاءٍ وامتحانٍ وتقلب، ولا تثبت لأحدٍ على حالٍ؛ وأن الله جعلها كذلك ليميز المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب، والطيب من الخبيث، والخير من الشر، والنفع من الضر،

فاستوجبت هذه المعرفة الصحيحة لصاحبها أن يصبر صبرًا جميلاً على كل ما يصيبه من ابتلاء أو أذى، لأنه يعلم أنها من قدر الله تعالى الذي كتبه وقدره، وأن العاقبة الحسنة له مع الصبر والثبات واليقين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وكم واجه الكثير من الأنبياء والرسل والصالحين والمصلحين المحن والشدائد والأعداء والأزمات بصدر رحب، ويقين راسخ، وتوكل عظيم على الله تعالى، وكم جرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الشيء الكثير منها، لكنهم واجهوها بالإيمان الصادق، والعزم الثابت، والصبر الجميل، واليقين الجازم بوعد الله تعالى وفرجه ونصره، حتى اجتازوها بنجاح باهر، وما ذاك إلا لإيمانهم بقضاء الله وقدره، واستشعارهم لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

فتحولت معهم بفضل الله ورحمته المحن إلى منح عظيمة، والمصائب الدنيوية إلى أجور كبيرة؛ والضعف إلى قوة وعزة، والهزيمة إلى نصر وتمكين، وإن شئت مصداق هذا فاقرأ قول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ

﴿وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩-٢٥١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦]، فلما حققوا الإيمان واليقين بالله تعالىٰ، والإيمان بالقضاء والقدر في أنفسهم وقلوبهم، ثبَّت الله تعالىٰ أقدامهم وقلوبهم في المعركة مع عدوهم، ورزقهم الصبر واليقين، وكتب لهم النصر والعز والتمكين.

ولما تسلَّط كفار قريشٍ علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار بالسخرية والإهانة والمكر والضرب والتعذيب، كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يمر عليهم كما روىٰ البخاري في صحيحه: عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمٍ أو عصبٍ، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب علىٰ غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وكان صلىٰ الله عليه وسلم يمر أيضًا علىٰ **آل ياسر** وهم يعذبون، فيقول لهم: "صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة"، فثبتهم الله تعالىٰ بذلك، وزادهم إيمانًا وتوكلاً علىٰ الله تعالىٰ، ويقينًا بنصره ووعده، حتىٰ أن **بلالاً** كان يوضع في بطحاء مكة وعلىٰ ظهره وبطنه الحجارة الحارة، فيقول: أحدٌ أحدٌ، وقتل **خبيبٌ** ومزق إربًا إربًا، فما ثناه ذلك عن إيمانه، وذلك عندما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل، فقال لهم خبيبٌ: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزعٌ لطولتها، اللهم أحصهم عددًا:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَىٰ أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَا ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وهذا النبي صلىٰ الله عليه وسلم قد صبر صبرًا عظيمًا حتىٰ أتاه اليقين من ربّه، حتىٰ أنه بعد هجرته الشريفة إلىٰ المدينة المنورة قد عانىٰ من المنافقين معاناةً عظيمة، ووقعت له حادثة الإفك، وصبر علىٰ كيد اليهود ومكرهم، حتىٰ وضعوا له السم، ووعك من الحمىٰ وعكًا شديدًا.

وسُجِن إمام أهل السنة **أحمد بن حنبل** وعذب كثيرًا، وما زاده ذلك إلا ثباتًا ورسوخًا، وسُجن شيخ الإسلام **ابن تيمية الحراني**، فما كان منه إلا أن قال كلماته الشهيرة: «ما يفعل أعدائي بي؟ أنا سجني خلوة، ونفيي سياحة، وقتلي شهادة»، وصدق الله تعالىٰ في قوله العزيز: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وتلك سنةٌ جاريةٌ من سنن الله تعالىٰ أن يبتلي عباده المؤمنين ويمحصهم، حتىٰ يتبين الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، كما قال الله تعالىٰ: ﴿**الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت:١-٣]. وكذلك أيضًا في مصائب الدنيا كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن: ١١]. قال **ابن كثير الدمشقي**: قال ابن عباس: بأمر الله يعني عن قدره ومشيئته، ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم**﴾أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب عوضه عما فاته من الدنيا، هُدىً في قلبه، ويقينًا صادقًا، قال ابن عباس: يعني يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعن علقمة: ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾ قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلم.

وقال سعيد بن جبير: يعني يسترجع، يقول: ﴿**إِنَّا لِلهِ وإِنَّآ إِليهِ رَاجِعُون**﴾، وفي الحديث المتفق عليه: «عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن».

وروى البخاري، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الله تعالى: "مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّةَ"، لأنه يعلم أن هذا من قدر الله الذي قضاه وقدره، فيسلم ويرضى.

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة، أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبةٌ، فيقول ما أمره الله: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيهِ رَاجِعُونَ**﴾، [البقرة: ١٥٦]، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها"، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيحين عن أنسٍ، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال: «اتقي الله واصبري»، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والرضا بالقدر المكتوب، ونهى عن الجزع والتسخط على أقدار الله بأي صورةٍ كانت، وقد روى البخاري عن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية».

**الفائدة السادسة: الإقبال على الله واستشعار عظمته وقدرته:**

فإن الإيمان بالقدر يوجب للعبد الإقبال على الله تعالى، ويقطع قلب المؤمن من الالتفات إلى المخلوقين أو التعلق بهم؛ لأن الأمور كلها بيد الله عز وجل، وبقضائه وقدره وحكمته سبحانه، ولهذا فإن المؤمن دائمًا يستشعر عظمة الله سبحانه، وإحاطته الشاملة بكل شيء، ونفوذ مشيئته على عموم الخلق، وهذا يجعله دائم الإقبال على ربه وخالقه ومدبر أمره وحياته، لأنه هو القادر وحده تعالى على تحقيق غايته، وإنفاذ مطلوبه، ومغفرة زلته، ورفع درجته، وتقبل دعوته، وكشف كربته، ودفع الشر والبلاء عنه، وجلب الخير والمصلحة له، فهو تعالى الذي يسمع الشكوى، ويدفع البلوى، ويجيب دعوة المضطر إذا دعاه، قال الله تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

وجاء في الحديث عن سلمان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حييٌ كريمٌ، يستحيي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفرًا خائبتين".

ولهذا فإن الواجب على الإنسان العاقل الرشيد أن يعرف قدر نفسه وعجزه فلا يتعالى ولا يتكبر؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور ومستقبل ما هو حادث، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه سبحانه وتعالى،

فتراه يكون صادقًا في توكله علىٰ ربه، يأخذ بالأسباب التي قدر الله أقدارها، ويطلب من ربه العون علىٰ ما عجز عنها بلا تردد أو شك.

فالإنسان خلق محبًا للخير لنفسه، كارهًا الشر لنفسه، يجزع منه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١]، فإذا أصابه الخير بطر واغتر به، وإذا أصابه الشر جزع وحزن، ولا يعصم الإنسان من البطر إذا أصابه الخير، والحزن إذا أصابه الشر إلا الإيمان بالقدر، وأن ما وقع فقد جرت به المقادير وسبق به علم الله تعالىٰ.

**الفائدة السابعة: التوكل على الله والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب:**

**ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أيضًا وفوائده:** حسن التوكل علىٰ الله تعالىٰ، والاعتماد عليه عند فعل الأسباب؛ لأن التوكل في حقيقته هو اعتماد القلب علىٰ الرب مع الأخذ بالأسباب، بحيث لا يعتمد علىٰ السبب نفسه بل يكون اعتماده بقلبه علىٰ الله وحده وقد أمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم الأعرابي بقوله: اعقلها وتوكل علىٰ الله، وأمر بالتداوي عند نزول الداء، لأن العبد مأمور بالأخذ بالأسباب، لأنه يعلم أن كل شيء بقدر الله تعالىٰ ومشيئته وحكمته وما عليه إلا السعي والعمل، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾

[الطلاق: ٣]: أي كافِيهِ. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وفي الحديث عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وروي أيضًا عن عمر بن الخطاب، قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «لو أنكم تتوكلون علىٰ الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا».

**الفائدة الثامنة: الشجاعة والإقدام والعمل:**

**ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أيضًا وفوائده:** أنه يدفع الإنسان إلىٰ الشجاعة والشهامة والإقدام علىٰ عظائم الأمور بثباتٍ وعزمٍ، كما يدفعه ويحثه علىٰ العمل والإنتاج والقوة؛ فالمؤمن لا يخشىٰ إلا الله؛ لأنه يعلم أن الأجل مقدرٌ، وأن الرزق محددٌ مقسوم، فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه، وأنه إذا جاء لا يؤخر؛ لا يمنع منه حصون ولا جنود، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ لَوْ

﴿كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، ويروىٰ عن **الشافعي** قوله:

وَمَنْ نَزَلَتَ بِسَاحَتِهِ المنَايَا ... فَلا أَرضٌ تَقِيهِ وَلا سَمَاءُ

وهكذا حينما يستشعر المجاهد هذه الدفعات القوية من الإيمان بالقدر؛ يمضي في جهاده حتىٰ يتحقق النصر علىٰ الأعداء وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين.

وكذلك الداعي إلىٰ الله يصدع بدعوته ويجهر بها أمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في الله لومة لائم، ويفضح ما هم فيه من كفر وظلم وما يقومون به من إفساد وتضليل، يفعل المؤمن كل ذلك بعد اتخاذ الأسباب الواقية بإذن الله، وهو راسخ الإيمان، واثق بالله، متوكلٌ عليه، صابرٌ علىٰ كل ما يحصل له في سبيله؛ لأنه مؤمن أن الآجال بيد الله وحده، والأرزاق عنده وحده، وما قدر الله سيكون وما لم يقدره لن يكون، وأن العباد لا يملكون من ذلك شيئًا مهما وجد لهم من قوة وعون.

وكذلك بالإيمان بالقدر يتوفر الإنتاج والثراء؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له؛ فإنه لن يتواكل، ولا يهاب المخلوقين، ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل علىٰ الله، ويمضي في طريق الكسب، وإذا أصيب بنكسة، ولم يتوفر

له المطلوب؛ فإن ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود، ولا يقطع منه باب الأمل، ولا يقول: لو أنني فعلت كذا؛ كان كذا وكذا، ولكنه يقول: قدر الله وما شاء فعل، ويمضي في طريقه متوكلاً على الله، مع تصحيح خطئه، ومحاسبته لنفسه، وبهذا يقوم كيان المجتمع وتنتظم مصالحه، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

**الفائدة التاسعة: دوام الخوف والحذر:**

فإن الإيمان بالقدر يجعل المؤمن دائم الحذر من ربه تعالىٰ، دائم الخوف منه، لأنه لا يعلم الغيب، ولا يعلم ما خفي له من أمور القدر، ولا ما يكون من أمور المصير والخواتيم عند الموت، أو يوم القيامة، فلا يترك العمل اتكالاً منه على الإيمان، وإلا فهو جاهل مغرور، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ [النساء:٨٤].

وروىٰ مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلبٍ واحد، يصرفه حيث يشاء»، ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك».

وفي الصحيحين أيضًا، عن عبد الله بن مسعود، قال: حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكتب رزقة، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أو سعيدٌ، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وفي الحديث عن ثوبان، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بيضًا، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا»، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوامٌ إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» رواه ابن ماجه.

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: «يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرىٰ عبده أو أمته تزني، يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» رواه البخاري.

وجاء في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "أكبر الكبائر الشرك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله". رواه الطبراني وغيره.

والأمن من مكر الله وترك الحذر من سوء المصير والخاتمة إنما ينشأ في الغالب من الرضا عن النفس وكثرة مدحها والركون إليها، ومن ثم ينتج عنه الحكم للنفس بالنجاة! وعلىٰ الآخرين بالهلاك! وهذا غاية الغرور،

وقد روىٰ أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول:

"كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرىٰ الآخر علىٰ الذنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا علىٰ ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت علىٰ ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلىٰ النار"، قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته.

ولهذا فإن الواجب علىٰ المؤمن أن يسير إلىٰ الله بين الخوف والرجاء، وقد يُغلِّب أحدهما في بعض الأوقات لحاجة، فإذا عصىٰ غلَّب جانب الخوف ليتوب، وإذا تاب غلَّب جانب الرجاء يطلب عفو الله، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]، قالت عائشة: سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن هذه الآية، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم". رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

وقال الحسن البصري: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِقٌ وَجِل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمنٌ. وقال أبو سليمان الداراني: وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فسد القلب.

وروىٰ الترمذي بسند حسن، عن أنس، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم دخل علىٰ شابٍ وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبدٍ في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف».

**فالمقصود** أن الإيمان الصحيح بالقضاء والقدر **يدفع الإنسان** دائمًا نحو العمل الصالح، والجد والاجتهاد في العبادة وفعل الخير، من أجل النجاة

في الدنيا والآخرة، وخوفًا من الخاتمة وسوء المصير، مع حسن الظن بالله تعالىٰ، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله، أنه سمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم، قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» رواه مسلم، وهذه من أعظم ثمرات وفوائد الإيمان بالقدر، والتسليم لله تعالىٰ في أمره وحكمه.

**الفائدة العاشرة: الاجتهاد في الأعمال الصالحة والمسارعة إلى الخيرات:**

فإن الإيمان بالقدر سببٌ عظيمٌ في تنشيط النفوس الصالحة بالاجتهاد في الأعمال الصالحة، والمسارعة إليها، وتخويف النفوس المقصرة؛ لتسرع بالتوبة والرجوع إلىٰ ربها، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

وقد روىٰ الترمذي في جامعه عن عائشة، قالت: "سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن هذه الآية فقلت أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرفون؟ فقال: "لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات".

ولقد كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يخشون أن تحبط أعمالهم وألا تقبل منهم، لرسوخ علمهم وعميق إيمانهم، قال أبو الدرداء: لأن أعلم أن الله تقبل مني ركعتين أحب إلي من الدنيا وما فيها، لأن الله يقول: ﴿إِنَّما يَتقبلُ اللهُ مِنَ المُتَّقين﴾ [المائدة: ٢٧].

**الفائدة الحادية عشرة: حصول المغفرة والثواب في الدنيا والآخرة:**

فإن الإيمان بالقدر سببٌ عظيمٌ لحصول المغفرة والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، فلما حصل لهم الرضىٰ والتسليم لأقدار الله عليهم، وصبروا علىٰ ذلك، بشرهم الله تعالىٰ بالهداية والرحمات، ورفعة الدرجات، ومغفرة السيئات، ودخول الجنات.

وروىٰ مسلم في صحيحه عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة».

وروىٰ أيضًا عن أبي سعيد، وأبي هريرة، أنهما سمعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن حتىٰ الهم يهمه، إلا كفر به من سيئاته».

وروىٰ البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، قال: سمعت النبي صلىٰ الله عليه وسلم، يقول: " إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة "، وروىٰ أيضًا عن أبي هريرة، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، قال: يقول الله تعالىٰ: " مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجنَّة ".

وروىٰ أيضًا عن عائشة، أنها سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، عن الطاعون: "فأخبرها أنه كان عذابًا يبعثه الله تعالىٰ علىٰ من يشاء، فجعله الله تعالىٰ رحمةً للمؤمنين، فليس من عبدٍ يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد".

**الفائدة الثانية عشرة: النجاة من النار وعذابها يوم القيامة:**

**ومن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر العظيمة أيضًا وفوائده:** النجاة من النار وعذابها وأهوالها يوم القيامة، وهذا والله غاية السعادة والفوز العظيم، كما جاء عن ابن الديلمي، قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: قد وقع في نفسي شيءٌ من القدر، فحدثني بشيءٍ لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: "لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت علىٰ غير هذا لدخلت النار"، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت

حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، مثل ذلك. رواه أبو داود وابن ماجه.

*** وخلاصة القول:**

إن العبد إذا أيقن بالقدر، وآمن به إيمانًا جازمًا لا يعتريه شك، فعندئذٍ يكون قد حقق أصلاً عظيمًا من أصول الدين والإيمان، وجلب لنفسه المنفعة والسعادة في الدنيا والآخرة، وجمع في نفسه من منازل العبودية كالرضىٰ والصبر واليقين والتوكل والخوف والرجاء والتوبة والإنابة وغيرها ما يلقىٰ به ربه تعالىٰ وقد رضي عنه، فيكون متحققًا بقوله صلىٰ الله عليه وسلم: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"، ولذلك جاء عن عبد الله بن مسعود، قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي صلىٰ الله عليه وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله: "سألت الله لآجالٍ مضروبة، وأيامٍ معدودة، وأرزاقٍ مقسومة، لن يعجل شيئًا منها قبل أجله ولا يؤخر، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار وعذاب القبر، كان خيرًا وأفضل". رواه مسلم.

فنسأل تعالىٰ أن يرزقنا الثبات والاستقامة علىٰ العقيدة الصحية، وأن يزيد إيماننا به تعالىٰ، وأن يجعلنا من المهتدين في الدنيا والآخرة، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

# الفهـــرس


| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| مقدمة الكتاب | ٣ |
| **الفصل الأول: تعريف القضاء والقدر لغة وشرعًا** | ٥ |
| **أولاً:** معنىٰ القضاء والقدر في اللغة | ٥ |
| **ثانيًا:** معنىٰ القضاء والقدر في الشرع | ٥ |
| **الفصل الثاني: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر** | ٧ |
| **الفصل الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر** | ١٠ |
| **المرتبة الأولىٰ:** العلم | ١٠ |
| **المرتبة الثانية:** الكتابة | ١١ |
| **المرتبة الثالثة:** المشيئة | ١٥ |
| **المرتبة الرابعة:** الخلق | ١٥ |
| **الفصل الرابع: الفرق المنحرفة والضالة في باب القدر** | ١٧ |
| **الفرقة الأولىٰ:** القدرية | ١٧ |
| **الفرقة الثانية:** الجبرية | ١٩ |
| **فائدة** في سبب ضلال هذه الفرق | ٢١ |
| **فائدة** أخرىٰ نفيسة | ٢٥ |
| **الفصل الخامس: مسائل أخرى متفرقة في القدر** | ٢٧ |
| **المسألة الأولىٰ:** التلازم بين الإيمان بالقدر والتوحيد | ٢٧ |
| **المسألة الثانية:** نسبة الشر إلىٰ الله تعالىٰ وحكمها | ٢٩ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **المسألة الثالثة:** معنىٰ القدر خيره وشره وحلوه ومره ..... | ٣١ |
| **المسألة الرابعة:** هل الدعاء يرد القضاء والقدر ..... | ٣٢ |
| **الفصل السادس: الأخطاء والاعتقادات المنافية للإيمان بالقدر** | ٣٩ |
| **الخطأ الأول:** الاحتجاج بالقدر علىٰ الكفر والمعاصي ..... | ٣٩ |
| **الخطأ الثاني:** ترك العمل الصالح اتكالاً علىٰ القدر ..... | ٤٢ |
| **الخطأ الثالث:** الخوض في القدر والغيب والنهي عنه ..... | ٤٥ |
| **الخطأ الرابع:** الاعتقاد في النجوم والأنواء ..... | ٤٨ |
| **الخطأ الخامس:** الاعتقاد بانتقال بالعدوىٰ بنفسها ..... | ٤٩ |
| **الخطأ السادس:** الطيرة والتطير بالكلمات والمخلوقات ..... | ٥٠ |
| **الخطأ السابع:** انتشار ألفاظ وعبارات تنافي الإيمان بالقدر ... | ٥٦ |
| **الفصل السابع: فوائد وثمرات الإيمان بالقضاء والقدر** ..... | ٥٨ |
| **الفائدة الأولىٰ:** صحة الإيمان وكماله ورسوخه ..... | ٥٨ |
| **الفائدة الثانية:** الخلاص من الشرك وشره ..... | ٥٩ |
| **الفائدة الثالثة:** حصول الطمأنينة والراحة النفسية للإنسان ..... | ٥٩ |
| **الفائدة الرابعة:** القضاء علىٰ أمراض النفوس والمجتمع ..... | ٦١ |
| **الفائدة الخامسة:** الصبر والثبات علىٰ الشدائد والأزمات ..... | ٦٢ |
| **الفائدة السادسة:** الإقبال علىٰ الله واستشعار عظمته ..... | ٦٧ |
| **الفائدة السابعة:** التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه ..... | ٦٩ |
| **الفائدة الثامنة:** الشجاعة والإقدام والعمل ..... | ٧٠ |

| الموضـــــوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **الفائدة التاسعة:** دوام الخوف والحذر | ٧٢ |
| **الفائدة العاشرة:** الاجتهاد في الأعمال الصالحة | ٧٦ |
| **الفائدة الحادية عشرة:** حصول المغفرة والثواب | ٧٧ |
| **الفائدة الثانية عشرة:** النجاة من النار وعذابها | ٧٨ |
| فهرس الكتاب | ٨٠ |

## (( مؤلف الكتاب في سطور ))

● هو فضيلة الشيخ الكاتب و الداعية الإسلامي: أبو شهاب الدين عاطف بن محمد بن عبد المعز بن عبد المهدي بن السيد بن علي بن عيسى بن علي، الهنداوي، السُلمي نسبًا، الفيومي مولدًا، القاهري إقامة، السلفي منهجًا، عمل مدرسًا ومحفظًا للقرآن في عدد من المعاهد الدينية الحكومية والخاصة، وإمامًا وخطيبًا في الكثير من مساجد الأوقاف، والجمعية الشرعية، والمساجد الأهلية، ومراكز الشباب، بالفيوم والقاهرة والجيزة، وكاتبًا إداريًا في التربية والتعليم الحكومية بالفيوم.

● ولد عام ١٣٩٧هـ في قرية المُشَرَّك قِبلي، بمدينة يوسف الصديق، بمحافظة الفيوم في مصر، وأصيب بإعاقة في قدمه اليسرى في الثالثة من عمره، و بدأ حفظ القرآن في كتاب المسجد، وأتمه في الخامسة عشرة من عمره، ثم التحق بمعهد القراءات بالفيوم للدراسة الشرعية لمدة عامين، وبعد انتقاله إلى الجيزة حصل على إجازة من فضيلة الشيخ عبد المنعم بن جبريل بن حمور الجيزي الأزهري، برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية.

● وتلقى العلوم والمعارف الشرعية على عدد من المشايخ والعلماء الأجلاء؛ منهم: عمه وعمدته فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن عبد المعز بن عبد المهدي الفيومي الأزهري الكفيف، والشيخ الفقيه سيد الفيومي الأزهري، وأفاد من الشيخ العلامة عبد القادر بن شيبة الحمد الهلالي، والشيخ العلامة محمد بن محمد المختار الشنقيطي، وحضر لهما مجالسًا في المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وغيرهم.

● أما شيوخه في الإجازة والرواية الحديثية، فقد أجازه جمع كبير من المشايخ والمسندين في العالم الإسلامي والعربي وبلاد الهند وغيرها، منهم: الشيخ المعمر عبد الرحمن بن شيخ بن علوي الحبشي الحضرمي، والشيخ المعمر عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي، والشيخ المعمر محمد بن عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ التميمي، والشيخ المعمر المحقق زهير بن مصطفى الشاويش الميداني، والشيخ المعمر ظهير الدين الرحماني المباركفوري، والشيخ المعمر عبد الرحمن بن عبد الحي الكتاني المغربي، والشيخ المعمر محمد إسرائيل الندوي السلفي، والشيخ المعمر محمد بن عبد الله الشجاع آبادي، والشيخ المعمر قاسم بن إبراهيم البحر اليمني، والشيخ المعمر معوض عوض إبراهيم الأزهري المصري، وغيرهم.

● وللشيخ العديد من الكتب والبحوث والمؤلفات؛ منها: مجالات الدعوة في القرآن وأصولها، وفتح الرب العلي إلى مرويات وأسانيد الفيومي، وهداية السائرين إلى جنات رب العالمين، وسبيل الرشاد إلى صحيح الدين والاعتقاد، ومختصر المذهب في حكم التمذهب، وغيرها من الرسائل والمؤلفات.